

... فارس "الشعر"

- أو .. "واسطة عقد الدهر في صناعة الشعر"^(١) -
طلبت "بالشعر" .. دون الشعر منزلة^(٢) فشاء ريك أن لا تُدرك الطلب^(٣)
إيه..، أخوا الوفرة السوداء كم ملكٍ أعضاك "التاج" منها، لوبه^(٤) اعتصبا
أبو الطيب.. /
.. الذي نظر الأعمى إلى أدبه، وأسمع أذن الدنيا شعره، وأسمى بالقريض
منزلته، ليلفت إلى مقامٍ .. تيوأه بـ "الشعر":
إن هذا الشعر^(٥) في الشعر ملك سار فهو الشمس، .. والدنيا فلك
إذاً لن أتحدث عن المتنبي "الشاعر"، لأن ذلك قد يحتاج إلى ضعف أو
أضعاف هذا (الجهد..)، بل عن الإنسان .. والذاتية..

(١) كما يقول الثعالبي - صاحب كتاب يتيمة الدهر -
وحقّ لشاعرنا هذا (الوصف) بل.. ولا أدلّ على ذلك مثلاً (والدلائل على ذلك.. كثيرة):
كان الجفون على قلبي ثياب ثققن على ثاكل
- أو قوله:
ومن تفكر في الدنيا ومهجه أقامه الفكر بين العجز والتعب -
(٢) أي: الإمارة.
(٣) الأخطل الصغير.
(٤) أي: بالشعر "الذي خلّفت"، وهذا مدلول قول الخليفة.. حين صلب الوزير "ابن
بقية" .. فرثاه "ابن الأنباري" بالمطلع المشهور:
علو في الحياة وفي الممات كسأنك أحد المعجزات
ب: يا ليتني أنا المصلوب، وقيلت في هذه القصيدة... إلخ.
(٥) يقصد شعره.

من "الطموح الشخصي" الذي ولع به، وجعله يسبح بالآفاق ويقطع
البيادر، ويعدو لبيداء.. دونها بيد..

هذا.. الذي كاد بمرات أن يجلب المنية لطرفه^(١):

وأنا الذي اجتلب المنية طرفه فمن المطالب.. والقتيلُ القتالُ
قبل أن تأتي على يد "فاتك الأسيدي" الذي ما حلم -مطلقاً- أن يشع
اسمه، أو يدون بالتاريخ.. لولا هذه الحادثة - التي كان ثمنها تغييب الرمز
الأدبي الذي:

كان من نفسه "الكبيرة" في جيد ش ومن كبرائه في سلطان^(٢).. -
.. فلا على "القريض" أن يُشيع جدتك والحشرات تزفر.. آهات..

وقد يموت كثير لا تحسبهم كأنهم من هوان الخطب ما وجدوا^(٣)
..أما (أنت) فلا أماري إن قلت فيك قصد (المعري) - عن ذاته -:

كأنني لسان الدهر لفظ تضمن منه أغراضاً بعادا
يكررنني.. ليفهمني رجال كما كررت معنى مستعادا

(١) قال أبو الفتح البسيبي:

لم ترَ أن المرء طول حياته معنى بأمر لا يزال يعالجه
كذلك (دود القز) ينسج دائماً ويهلك غمماً وسط ما هو ناسجه

.../ أسأل الله للجميع الأمن والأمان والسلامة في الدين والأبدان.

(٢) أبو القاسم "مظفر بن علي الطبسي".

(٣) أحمد شوقي يرثي "ثروت بك".

"البيئة":

.. لقد كان المناخ.. أو الفترة التي عاش فيها المتنبي^(١) ذات دويلات تشابه تنافرها بـ"إرث" قسّم، دون تحديد النصاب لكل وارث.. - ك/ قسمة ضيزى -،

مما دعاه يقول..^(٢) لممدوحه الأوحده..^(٣) "سيف الدولة":
وسوى الروم خلف ظهرك روم^(٤) فانظر على أي جانبيك تميل؟
.. أي ليس عدو (دولة الإسلام) الروم من يُحتز منه، ... بل هناك من لهم حيز الاحتراز في همك.. ومن قبلك.^(٥)

(١) منتصف العهد العباسي "الثاني". - النصف الأول من القرن الرابع الهجري -

(٢) بل وقال.. متأماً لحال هذا الفارس الذي لا يخرج من قتام.. إلا إلى قتام..

أنت طول الحياة للروم غازياً فمتى الوعد أن يكون القبول؟
نيراسه في ذلك - قول أحمد شوقي:

- دعوتهم لجهادٍ فيه مؤددهم - (الحرب) أمّ نظام الكون والأمم

(٣) هذا إذا ما أردنا تصنيف مديحه -.. أو فرزه -

(٤) ..ويقصد بهم (آل بويه).

(٥) وهذا المقام ليس لعرض هذه "الوجهة"...

إذ يكفي تعبير الشاعر.. وإن كان بالغ كثيراً - عنهم - ب:

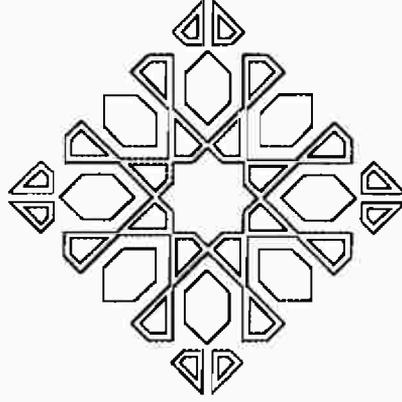
ودهر ناسه ناس صغار وإن كانت لهم جث ضخام

ثم يقول - يعني نفسه -:

....

- كما أبدع وصف حاله .. معهم:

وكيف يتمُّ بأسك في أناسٍ تصيهم فيؤلك المصابُ^(١) -



-...-

وما أنا في العيش فيهم لكن معدن الذهب الرغام

- وهذا من معنى .. كرهه في سيف الدولة:

وإن تُفقد الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال ١١ -

(١) .. حتى قال له - وبعد سنين من فراقه - يصف حاله:

أرى المسلمين مع المشركين إما العجز، وإما رهب

وأنت مع الله في جانب قليل الرقاد كثير التعب

كأنك وحيدك، وخذته ودان البرية بابن وأب

"الإنسان":

في عام ٣٠٣ هـ كان مولد أحمد بن الحسين الجعدي الملقب بـ "المتنبي"،
و.. /أبو الطيب: "مالي الدنيا .. وشاغل الناس"...

وفي الكوفة .. بمحلة تُدعى "كينده"^(١) مكان الولادة والنشأة، ويكفي لما
لهذا المكان والتاريخ ما يكونان لهذا "الفتى" من طموح يرتقي به
-شاعراً- ليطلب (الإمارة) بهمة تزدرى كل هول^(٢)...

تزدري همّي كل مطلب ويقصر في عيني المدى المتناول
.. وذلك في وقت كثرت فيه الدويلات والإمارات، وتعدد فيه
الأمراء..، فما من زاوية أو ركن بهذه الدولة - المترامية الأبعاد- إلا وبه
إمارة.. و-عليها- أمير!

ولم لا يطلب ذلك، ويحلم بمثل هذا الأمل..

إذا كان بنظره أن "كافوراً" - وهو مولى- بهذا "العزيز.. المنال".

(١) قال البغدادي - في خزانة الأدب (١/٣٨٢) :-

وهذه ترجمة المتنبي نقلتها من كتاب إيضاح الشكل لشعر المتنبي من تصانيف أبي القاسم
الأصفهاني.. حدثني ابن النجار ببغداد أن مولد المتنبي كان بالكوفة في محلة تعرف
بكندة بها ثلاث آلاف بيت من بين رواء ونساج، واختلف إلى كتاب فيه أولاد
أشراف الكوفة، فكان يتعلم دروس العلوية شعراً ولغة وإعراباً، فنشأ في خير حاضره،
وقال الشعر صبيّاً ثم وقع إلى خير بادية.. إلخ.

(٢) أو.. كما قال غيره:

إذا كنت ترجو كبار الأمور فاعدد لها همة أكبرا

وبين تلاطم آمال هذا "العبقري"، وواقع.. كما وصفه هو:
 ودهر ناسه ناس صغار وإن كانت لهم جث ضخام
 نتج عن تزواجه - هذا التلاطم - شاعر.. روي الدهر بـ"قريضه":
 وما الدهر إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعراً، أصبح الدهر منسداً
 وهذا "التزاوج" جعل من أبي الطيب "الحكيم" في وصف الدنيا..
 وتصادم المطامع بها، يجول ويتخلل بحثاً عما يكتشفه.. ويُقدّمه لمقام
 "ينال به مأربه ويحظى منه بمطلبه".

وقد أخطأ الوجهة.. بداية "حين ادّعى النبوة"^(١)!
 .. ثم أدرك أن الفطانة^(٢) لا تزال بسواد الأمة، ليعود عن هذا، بعد أن
 سجنه أبو لؤلؤة "أمير حمص" حتى استتابه.. وأتاب:^(٣)

(١) كما تذكره معظم الروايات، ولعل في "سفر المتنبّي" لمحمود محمد شاكر - ت ١٤١٨هـ
 (رحمه الله) - ص: ١٩٩ وما بعدها، ما يكشف "بصدق" عن زيف هذا الادعاء، وهذا
 ما أصوبه من وجهة نظري المحدودة، -بالمناسبة، كتاب "سفر المتنبّي" - الذي أصدره
 بمناسبة مرور ألف عام على وفاة الشاعر.. /وهو كتابٌ جدُّ نفيس، وقد حوى - بلا
 مبالغة - جلّ "سيرة المتنبّي" الإنسان والشاعر..، وقد حاز مؤلفه عليه براءة جائزة
 الملك فيصل العالمية للأدب العربي، في الدورة السابعة عام ١٤٠٤هـ -
 (٢) ذكر ابن رشيقي في العمدة ص ٧٥، قوله: أنا أوّل من تنبأ بـ"الشعر" وادّعى النبوة في
 بني الفصيصة.

(٣) .. وقد لقي في سجنه.. ما لقي... حتى قال - معترفاً -:

.. دعوتك عند انقطاع الرجاء ... إلخ

إن أكن قبل أن رأيتك أخطأ ت، فإني على يدك أتوب
 وخرج من سجنه وقد علق به اسم "المتني" .. - مع كراهيته لذلك -
 هل (النبوة..) شيء كنت تزعمه أم الوشاة.. أسأؤوا في الذي زعموا؟^(١)
 وقد روى ابن جني - تلميذ المتني وشارح ديوانه - إذ قال:^(٢)
 (سمعت أبا الطيب يقول/ إنما لُقبَت بالمتني لقولي:

أنا تُرب الندى.. وربُّ القوافي وسِمام العدى وغيض الحسود
 ما مقامي بأرض نخلة إلا كمقام المسيح بين اليهود
 أنا في أمة تداركها اللـه غريب كصالح في ثمود
 فهو لم يتنبأ، وإنما خلُع عليه "اللقب" لتشبهه بالأنبياء في هذين البيتين
 السابقين...)

وربما وُسم بذلك لفطنته وحادّة ذكائه ونبوغه في الشعر..

-...-

- ونذكر هذه الطرفة..

مرّ ابن أبي لؤلؤة.. على الشاعر، وقد أثر تكليل الحديد في السجن على قسماته، فقال له:
 ﴿فاصبر كما صبر أولي العزم من الرسل﴾ .. -

وله - هنا - من الدعاء المأثور: (ربّ اغفر لي ذنوباً جرّاني عليها عفوكم)..،

قال أحمد شوقي:

إن جِلّ ذنبي عن الغفران.. لي أملٌ في الله يجعلني في خير مُعتصم
 وإن تقدّم ذو تقوى بصالحية قدّمت بين يديه عبرة النادم

^(١) د. أسامة عبد الرحمن.

^(٢) يتيمة الدهر لـ "الثعالي"، (١-٨٠).

- هو في شعره نبيٌّ ولكن ظهرت معجزاته في المعاني -
 إلا أن أبا الطيب كان ذكياً حين يُسأل عن سبب التسمية؟ يجيب بقوله:
 أخذ من النبوة^(١) "أي المرتفع"^(٢).
 .. قال أبو محمد النهشلي: إن أبا الطيب إنما سُمِّي "متنبياً"^(٣) لفطنته.
 .. ولما سأله "ابن خالويه" في مجلس سيف الدولة في ذلك؟، أجاب:
 لست أَرْضَى أن أدعى بذلك! - أي تسمية "المتنبّي" - وإنما يدعوني به
 من يُريد الغَضَّ مني، .. ولستُ أقدرُ على المنع.

(١) وقال محمد الخولي - كتابه (الأدب النبوي) ص ١٥٥ :-

هي/ سفارة بين الله وبين ذوي العقول من عباده لإزاحة علتهم في أمر معادهم..
 ومعاشهم.

-.. ورد عنه صلى الله عليه وسلم، حين سمع قول طرفة بن العبد:

مستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً
 ويأتيك بالأخبار من لم تزود
 قوله..: "هذا من كلام النبوة" -

النبوة في اللغة: من الإنباء أي الإخبار. قال تعالى: ﴿من أنبأك هذا قال نبأني العليم
 الخبير * إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾ سورة التحريم، آية ٣-٤.

.. قال أبو تمام: السيف أصدق أنباء من الكتب

(٢) قال الحق سبحانه عن سيدنا "إدريس" عليه السلام: ﴿ورفعناه مكاناً

علياً﴾ "مريم، ٥٧". - وقد فسّر الحسن البصري رحمه الله: المكان ب: الجنة -

(٣) قال بيلبوس - من قصيدته "ميرالادا.. وداعاً" -:

(ف: لنخمل مرةً.. بعد مرة فقد تعب القلب بحمل النبوة*) (

*) أي: من الترفع عن الرذائل.

"المادح": (١)

(١) أو الشاعر المدّاح.. كما يلقبه الأديب "عزير ضياء" -رحمه الله-

.. وربما على ذا بنا الدكتور أسامة عبد الرحمن بيته في الشاعر:

أسرفت في المدح.. لم ترك شوارده إلا عقوداً.. على التيجان.. تنظم
وهي -أي مدائح- قد تكون أجمل من "العقود" فالذي يتبدع لممدوحه به -مثل-:

وكيف يشتمه المخدوم والخدم
أو قوله:

وكيف يتم بأسك في أناس
أو قوله على لسان من افتدى نفسه منه:

يسرّ بما أعطاك.. لا من جهالة
أو مثلاً تطرّب السيوف - بزعمه - عند ذكر اسمه:

إذا نحن سميناك، خلنا سيوفنا
من التيه في أغمادها تبسم
إلا أننا لن نغض الطرف عن بعض مبالغاته التي قد تمجج من ذائقة المتلقي...، كقوله لـ
"شجاع بن محمد الطائي":

ولولا تولي نفسه حمل حلمه
عن الأرض لانهدت ومال بها الخلم
أو قوله في بدر بن عمار:

لو كان علمك بالإله مقسماً
في الناس.. ما بعث الله رسولا
أو قوله في كافور:

عدوك مذموم بكل لسان
ولو كان من أعدائك القمران
أو قوله - في أبي عبد الله بن سهل الأنطاكي -:

قد شرف الله أرضاً أنت ماكنها
وشرف الناس إذ سواك إنسانا
أو انبهاره به شجاعة أميره سيف الدولة لينشأ ذا البيت:

ومستكبر.. لم يعرف الله ساعة
رأى سيفه في كفه فتشهدا
-...-

فاصلة - يقول د/ شوقي ضيف: (إن إنزال الشعر منزلة: "حرفة" تقوم بالمدح.. ولا تقوم بغيره تجزئة يجلّ عنها، ويتبرأ الشعر منها.^(١))
إلا أن هناك ملكاً كبيراً ما خلقوا إلا ليتغنّوا بمدحه^(٢)، ويتفننوا بوصفه..
ذاهبين فيه كل مذهب، آخذين منه بكل نصيب. وهذا الملك هو "الكون".

ولهذا يقول الحق سبحانه وتعالى في وصف عباده أولي الألباب - بعد أن أسهب عن هذا الملكوت..:-

﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ

...=

أر.. قوله فيه - أيضاً -:

ويستكبرون الدهر.. والدهر دونه ويسعظمون الموت.. والموت خادمه
-.. انظر ما يأتي ص ٤٧ هامش (٢) -
(١) .. ولذلك ..

قال صفي الدين الحلبي: "وكننت عاهدت نفسي ألا أمدح كريماً، وإن جلّ، ولا أهجو لثيماً، وإن ذلّ، وذلك للتنزه عن التشبه بذوي السؤال، والترفع عن التبع لمثالب الرجال".

(٢) كقول (البحري) .. يصف "دمشق":

أمّا "دمشق" فقد أبدت محاسنها وقد وفي لك فطريها بما وعدا
..إذا أردت ملأت العين من بلد مستحسن.. وزمان يُشبه البلدا
فليس تُبصر إلا واكفاً خضلاً أو يانعاً خضراً.. أو طائراً غردا

النار ﴿١﴾، فهو ﴿الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ ﴿٢﴾..، فسبحان من أودع فيما أبدع خصائص كآيات تدل على الخالق ﴿٣﴾: ﴿إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني﴾ ﴿٤﴾

وقد ذكر "الجاحظ" في (البيان).. قول أحد الخطباء:

"أشهد أن السموات والأرض آياتٌ دلالاتٌ وشواهد قائمة، كلُّ يؤدِّي عنك الحجة ويشهد لك بالربوبية موسومة بآثار قدرتك، ومعالم تدبيرك، التي تجليت بها لخلقك، فأوصلت إلى القلوب من معرفتك ما أنسها من وحشة الفكر، ورحم الظنون. فهي على اعترافها لك، وافتقارها إليك، شاهدةٌ بأنك لا تحيط بك الصفات، ولا تحدُّك الأوهام، وأنَّ حظَّ الفكر فيك، الاعتراف لك".

.. ثم بدأ يتكسَّب بـ "الشعر" ﴿٥﴾ عسى أن يجمع المال.. ليلغفه المراد، ﴿٦﴾ إذ:

(١) سورة آل عمران، آية ١٩٠ - ١٩١.

(٢) سورة طه، آية ٥٠.

(٣) .. وصدق القائل:

تأمل مسطور الكائنات.. فإنها من الملك الأعلى إليك رسائل

(٤) سورة طه، آية ١٤.

(٥) .. قال عباس العقاد "لا ضير على أعظم الشعراء أن يصوغ القصيدة في مدح عظيم

يعجب به، ويؤمن بمناقبه..!

لكن الخلاف - كما يراه - في نوع المديح .. لا موضوعه"

(٦) أي الإمارة.

لا مجد في الدنيا لمن قلّ ماله^(١) ولا مال في الدنيا لمن قلّ مجده

.. فبدأ^(٢) بمدح "علي بن الطائي" التي منها:

ألا كل سمح غيرك اليوم باطل وكل مديح في سواك مُضَيِّعُ

ومدح "علي بن إبراهيم التنوخي"^(٣) بـ:

أَتِنَاهُ نَطَالِبَهُ بِرَفْدِ^(٤) فَطَالِبِ نَفْسِهِ مِنْهُ بِدَيْنِ

ووين تنقله على أمصار الشام.. يجد بـ (طَبْرِيًّا) الفارس العربي "بدر بن عمار بن

اسماعيل"^(٥) فَيُغْنِي لِسَانَهُ.. لا بتسام الزمان "بلقائه":

^(١) .. قال الجاحظ: "إن من فقد المال قَلَّتْ الرغبة إليه، والرغبة منه..، ومن لم يكن

بموضع رغبة ولا رهبة استهان الناس به..".

قال الشاعر.. بإيضاح:

يمشي الفقير.. وكل شيء ضده والناس تُفَلِّقُ دُونَهُ أَبْوَابَهَا

.. وتُرى الكلاب إذا رآته عسبت به، وكثرت أنيابها

^(٢) من هنا البدء بسرد مجمل عن إجمال - أو أبرز محطات - سيرته.

^(٣) وكان قد رثى ابن عمه "محمد بن اسحق التنوخي" بقصيدة هي من عيون الرثاء ..

منها يخاطب إخوان الفقيد:

صبراً بني إسحاق عنه تَكْرَمَاً إن العظيم على العظيم صبوراً

فلكل مفجوع سواكم مُشَبَّهٌ ولكل مفقودٍ.. سواه نظيرٌ

^(٤) أي/ عطاء.

^(٥) هذا البطل الذي نازل الليث بسوط.. فمرغه بالتراب.. لينطق "شاعرنا" الأسد:

تلف الذي اتخذ الجراءة خَلَّةً .. وعظ الذي اتخذ الفرار خليلاً

مشيراً بفرار الأسد الذي قبله..، لأنه فرّ من "الممدوح" قبل هذا أسدٍ آخر.

أعيداً نرى أم زماناً جديداً؟ أم الخلق بشخصك حياً أعيداً؟^(١)
ثم يمدح قاضي أنطاكية "أبو العشائر"^(٢) بـ:

أفعاله نسب.. لو لم يقل معها جَلَّتِي الخُصِيبُ.. عرفنا العِرق في الفُصْنِ
.. وبعد هذا.. يقضي "شاعر الدنيا" تسع سنين^(٣) مع الفارس المغوار

^(١) حتى استطاع حسّاد الشاعر كـ "ابن كروّس" أن يقلب ميل الأمير على شاعرنا..
فأعز إلى الأمير.. بهذا البيت:

إذا صديق أنكرت جانبه لم تُعيني في فراقه... الحيسلُ

- وهنا.. سؤال: هل المتنبّي كما نقرؤه في شعره؟ أم أن شعره (صوره) لـ المثالية التي يتمناها؟
.. وهل أبياته وخاصة "الذاتية" تمثّله، أو تعكس شخصيته؟

مثلاً "وفاء" الذي نظّر لهذه الخلة د. طه حسين - مع المتنبّي ص ٣٠٥ -:

فهو - كما يقول عنه - لم يُجرب تجربة حاسمة.. سوى في علاقته مع بدر بن عمار وأمير
حلب وأبي العشائر وكافور، وقد كسب الأولين من الشاعر صدق ذلك في ذاته..،
فمثلاً: حين توترت العلاقة بينهما، ولقي الأذى من حاشيته.. لم يزد على تركه من
غير هجاء - وهو دليل على أن وفاء قوي حتى غلب الغضب المأثور عنه..

^(٢) وإن كان قد مدحه - أبي العشائر - بمطلع جميل وصوره تعبيرية بالغة، إلا أنها مبالغة مُسفة:
النّاس لم يـبروك أشـبابه والدهرُ لفظٌ.. وأنت معناه
.. ولا تقبل قصداً..، إن قبّلت فناً.

وهو بالمناسبة: الذي عرّف فيما بعد - بممدوح الشاعر (سيف الدولة الحمداني).

^(٣) يقول "جورج غريب" إن هذه الأعوام "التسعة" أخصب^(*) أعوام المتنبّي من حيث
كثرة الشعر، ومن حيث تنوعه.. ولو لم يكن المتنبّي مع سيف الدولة بهذا الشكل..
لفقد فن المدح استقلاله، (المتنبّي دراسة عامة، باختصار ص ٧٠).

-^(*) ويُذكر/ أن قصائده في الأمير الحمداني تربو على نيف ولثمانين قصيدة -

القائد والأديب الأمير الحمداني سيف الدولة "أبو الحسن/ علي بن
عبدالله بن حمدان"^(١) :

(١) ذكر ابن خلكان في "وفيات الأعيان": (.. كان سيف الدولة ملكاً على حلب انتزعها
من يد (أحمد بن سعيد الكلابي) سنة ٣٣٣هـ، وكان أديباً شاعراً مجيداً عباً لجيد
الشعر شديد الاهتزاز له، قيل لم يجتمع بيباب أحد من الملوك بعد الخلفاء.. ما اجتمع
ببابه من الشعراء، وله معهم أخبار كثيرة، ولد ٣٠٣هـ - عام مولد المتنبي - وتوفي
بعده ٣٥٦هـ بعد مقتل المتنبي بستين).

وجاء في يتيمة الدهر - ج ١ ص ١٥٠.. وما بعدها - :

(كان بنو حمدان ملوكاً وأمراء أوجههم للصبحا، وألسنتهم للفضاحة، وأيديهم
للسماحة، وعقولهم للرجاحة، وسيف الدولة مشهور بسيادتهم، واسطة قلاذتهم.
وكانت وقائعه في عصاة العرب تكف بأسها (وتنزع لباسها) وتقل أنيابها، وتذل
صعابها، وتكفي الرعية سوء آدابها، وغزواته تدرك من طاغية الروم الثأر، وتحسم
شهرهم المثار، وتحسن في الإسلام الآثار، وحضرته مقصد الوفود، ومطلع الجود، وقبله
الآمال، ومحط الرحال، وموسم الأدياء، وحبلة الشعراء، ويقال: إنه لم يجتمع قط
بباب أحد من الملوك - بعد الخلفاء - ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر، ونجوم الدهر،
وإنما السلطان سوق يجلب إليها ما ينفق لديها"*) وكان أديباً شاعراً عباً لجيد
الشعر، شديد الاهتزاز لما يمدح به، فلو أدرك ابن الرومي زمانه لما احتاج إلى أن
يقول:

ذهب الذين تهزههم مداحهم هز الكمأة عوالي الـران
كانوا إذا امتدحوا رأوا ما فهم ملاً رجيحة منهم بمكان
وكان كل من أبي محمد عبد الله بن محمد الفياط الكاتب، وأبي الحسن علي بن محمد
الشمشاطي، قد اختار من مدائح الشعراء لسيف الدولة عشرة آلاف بيت، كقول
-...

كلما رحبت بنا الروض.. قلنا "حلب" مقصدنا، وأنت السيلُ
 لديك مرعى جادنا والمطايا وإيها وجيفنا.. والذميل^(١)
 - والذي/ لا الحلم جاد به ولا بمثاله^(٢) .. -

وقال في هذه (الفترة) مدائح خلّدت اسم الأمير^(٣) أبد الدهر: ^(٤)

-...-

أبي الطيب المتنبي:

خليلي، إنني لا أرى غير شاعر فلم منهم الدعوى ومني القصائد
 - وهي كلمة لعمر بن عبد العزيز رحمه الله - ^(*)

^(١) الوجيف: عدو الخيل، والذميل: ضرب من سير الإبل.

^(٢) ويحمل - هذا العجز - مبالغة كبيرة، دافعها - إضافة إلى الحب الشخصي له - أفعال
 هذا الفارس الأمير.. في وقائعه مع الروم، ومن قبل شجاعته البكر في مطلع
 العشرينات من عمره، دفع شاعرنا - وقد كان مغموراً - ليعجب به ويحب فروسيته:

وإذا امتحنت تكشف عزماته عن أوحدي انفضض والإبرام
 وإذا سألت بنانه عن نيله لم يرض بالدنيا قضاء ذمام
 مهلاً ألا لله ما صنع القنا في عمرو حابس وضبة الأغنام
 لما تحكمت الأمسنة فيهم جارت وهن يجرن في الأحكام
 فتركتهم خلل البيوت كأنما غضبت رؤوسهم على الأجسام

^(٣) .. كما قال الشاعر في قصيدة بمدحه بها.. لما استبطأ مدحه:

وعندي لك الشُّرْدُ^(*) السَّائِرا ت لا يَحْتَصِضْنَ مِنَ الْأَرْضِ دَارا
 قوافٍ إذا مِرْنَ عَنْ مِقْبُولِي وَثَبْنَ الْجِبَالَ وَخُضْنَ الْبِحَارَا

- ^(*) شرداً: لأنها لا تستقر على موضع، أي: تسير بها الركبان في الآفاق.. بمدحك،
 وهذا ما جعل (د. شوقي ضيف) يُثري عنها بـ/ ومدائحه لسيف الدولة تُعدُّ في

الذروة لا من شعره وحده، بل من الشعر العربي عامة، فقد صور فيها وقائعه وحروبه

-...-

تصويراً تشيع فيه البهجة بالنصر والاعتزاز بالعرب والعروبة - كتابه (الفن ومذاهبه)،
ص ٣٠٦ -

(٤) قال أبو اسحاق الغزي:

لولا أبي الطيب الكندي ما امتلأت مسامع الناس من مدح ابن حمدان
ولذا روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.. أنه سأل أبناء (هرم بن
سنان) ممدوح "زهير بن أبي سلمى": ماذا أعطيتم زهيراً؟ فقالوا: مدحنا فأعطيناه..
فقال رضي الله عنه: لقد ذهب ما أعطيتموه.. وبقي ما أعطاكم،.. ويكفي زهيراً -
مما أثنى به مدحاً لهرم بن سنان - قوله:

تراه إذا ما جتته .. متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت ماله
- وقيل في مدح/ حصن بن حذيفة الفزاري -

... وقد اتفق الشعراء في مجلس عبد الملك بن مروان.. أنه أبلغ بيت بالمديح.

ولعل مما قصده البارودي في تعريفه لمادة "الشعر":

أبقى زهير به ما شاءه هرم من الفخار حديثاً جده مأنور
وأذكر هنا - استرسالاً - بقول (د. حسن فتح الباب).. وذلك عندما تحدث عن شعراء
الحماسة.. ثم تطرق للمديح: "...ويكفي أن يُستشهد لذلك بقصائد أبي الطيب في
سيف الدولة، فهي لا تصوّر هذا البطل بذاته فقط.. بل إنها تصور مناقب الفروسية
العربية من خلال البطل النموذج.

وأضاف:

وتعد هذه القصائد ومثيلاتها ورائق فنية يرجع إليها المؤرخون والباحثون في خصائص
الأمة العربية، والعلماء الباحثون في سمات النفس العربية.

وقال أيضاً/

وكلها - أي تلكم القصائد - تتضمن لوحات فنية لا تنسى.. في تصوير المارك،
-...-

ما الدهر عندك إلا روضةً أنفً يا من شمائله في دهره زهرُ
 ما ينتهي لك في أيامه كرمٌ فلا انتهى لك في أعوامه عُمرُ
 .. فإن حظك من تكرارها شرفٌ وحظّ غيرك منها الشيب.. والكبرُ
 إذ كان المتني يُحبه.. ويخلص له، ويخصّه بمقتٍ^(١) خالصة..
 وقيدت نفسي في ذراكَ مَحَبَّةً ومن وجد الإحسان قِيداً تقيداً^(٢)
 - قال (ابن نباتة المصري).. موضحاً:

-...

وصراع المحاربين، وبطولة الفرسان المسلمين... إلخ.

باختصار من - المجلة العربية ٥ / ١٤١٨ هـ

.. وعد للإفاضة - أيها القارئ - إلى كتابه "المقاومة والبطولة في الشعر العربي"، ص ٩٢
 وما بعدها.

ولهذا قال "العقاد" - موجزاً -:

(إن المديح من أفضل المقائيس.. لقياس حال الأمة.. والشاعر.. والأدب..، في وقتٍ واحد).

^(١) المقتة/ المحبة الشديدة..، ولا أدلُّ على ذلك.. من قوله - حين عوفي الأمير مما ألمَّ به -:

المجدُ عوفي... إذا عوفيت والكرمُ وزال عنك إلى أعدائك الأئمُّ
 ولا نعجب أن نجاهده.. وهو يُعاتبه لا يدع مدحه/

يا "أعدل الناس".. إلا في معاملتي فيك الخصام، وأنت الخصم والحكم

..ويروى أن سيف الدولة.. حين وصل لمسامعه قول أبي الطيب في عضد الدولة:

وقد رأيت الملوك قاطبة وسرت حتى رأيت مولاها

قال أترأه أدخلنا في هذه "الجملة".

^(٢) - البيت من قول الأول:

أحسن إلى الناس تسعبد قلوبهم فلطالما قيد الإحسان إنسانا -

ولا عيب فيه.. غير أنني قصدته فأنستني الأيام أهلاً وموطننا -
 ..بعد أن وجد به ما يُشبع غروره.. وفي مبتغى ذاته:
 أبصرت بدمراً لا يرى (البدن) مثله وخاطبت بحمراً لا يرى العبر عائمه
 ..غضبت له، لما رأيت صفاته بلا واصف^(١).. والشعر تهذي طماطمه
 حتى أنه بالغ جداً.. بمدح ذا الأمير "ابن أبي الهيجاء"^(٢):
 بالجيش تمتع السادات كلهم والجيش بابن أبي الهيجاء يمتع
 يمشي الكرام على آثار غيرهم وأنت تُنشىء ما تأتي وتبتدع^(٣)
 ..من كان فوق محل الشمس موضعه فليس يرفعه شيء ولا يضع
 وكيف لا يكون لهذا الأمير "الأديب" واصف.. وقد ازدحم بابه الأدباء
 والشعراء،^(٤) إنما هذا ما لم يُقيمه لهم، أو يُقيمه.. ببال شاعرنا.

(١) حتى قال فيه..

ضاق الزمان ووجه الأرض عن ملكٍ ملء الزمان وملء السهل والجبل
 - يقول (العكبري) عن هذا البيت: المعنى: يريد أن المملوح لغرابية أفعاله، وانفراده في جميع
 أحواله، وما يتابعه من كثرة وقائعه، ويخلده من جليل مكارمه، وظفره في جميع مقاصده،
 يحمل الزمان من ذلك ما لا يطيقه، ويكلفه ما لا يعهده، فيضيق عن فخامة قدره، ويقصر
 عن جلاله بحده، وكذلك تضيق الأرض عما يحملها من حيوشه، ويسير فيها من جموعه،
 فقد ملأ الزمان بمكارمه وبحده، وملأ السهل والجبل بكتائبه وجمعه -

(٢) سمة أبيه.. الذي لُقّب بذلك - لبطولاته وصولاته في ميادين الوغى -

(٣) ..يوضح صدر البيت، قول أحمد شوقي:

مَا النَّاسَ إِلَّا أَوْلَىٰ عِضِي.. فيخلفه الأخير

وإلا لما أنشأ - بكل ثقة - :

أجزني إذا أنشدت شعراً.. فإنما بشعري أتاك المادحون مُردّداً
.. ثم إلى "كافور" ^(١) - به (مصر)، .. بعد أن أحسن الحُساد التفريق بين
الأمير والشاعر ^(٢)، .. بعدما فاض به الكيلُ - ..

-...-

^(٤) كأي فراس الحمداني ^(*) القاتل في حب الأمير ابن عمه - بكل ما أوتي من جودة السبك - ..
ليتك تحلو ، والحياة مريرة وليتك ترضى... والأنام غضاب
وليت الذي يبني وبينك عامرٌ ويبني.. وبين العالمين خراب
إذا صحّ منك الودّ فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب
وابن خلكان - صاحب (وفيات الأعيان) - وابن خالويه - ت ٣٧٠هـ - وغيرهم كثير.
- ^(*) هو الحارث بن سعيد بن حمدان، ولد بالموصل سنة ٣٢٠هـ، ونشأ يتيماً فكفله
سيف الدولة فشبّ على الكرم والشجاعة، وقد توفي عام ٣٥٧هـ - حين حاول
الثورة على أبي المعالي ابن سيف الدولة فتغلب الجند عليه وقتلوه - بالعام الذي توفي
فيه سيف الدولة - .. وهو صاحب:

سيدكروني قومي إذا جدّ جدّهم (وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر)
^(١) "كان (كافور) مولى لقومٍ من أهل مصر يُعرفون ببني عباس، وكلم أبو بكر محمد بن
طفج - حاكم مصر - صاحبه في بيعه، فوهبه له فأقام على وظيفة الخدمة، ولما تُوفي
سيده أبو بكر وكان ابنه صغيراً، قام كافور بتفردده بالخدمة له، ثم قرّب من شاء
وأبعد من شاء، حتى إذا ما كبر الغلام وبدأ يُنفس عن شيء في مكنونه سقاه سماً
فمات..، ثم انفرد بالحكم".

- باختصار "جواهر المتنبي" ص ٢٠١ عبد الله عمر خياط -

^(٢) وإن بليت بحب مثل ودّكم فإنني بفراق مثله قمن
-.. قمن: أي جدير -

لقيت المرور والشناخيب دونه وجبت هجيراً يترك الماء صاديا
أبا كل طيب لا أبا المسك وحده وكل سحاب لا أخص الغواديا
ولم يذهب لهذا "المولى" ^(١) إلا رغبة بنيل الحكم "الإمارة" ... ^(٢)

بعد أن داهم السبات ذاك الحلم في حلب، وكيف لا يفيق ذو المنى..
بعدهما اكتنز من المال ما يكفي.. وأخذ من الشهرة ما يفي، حتى ولو
كان نيل الحلم من هذا "المولى" ^(٣). - إذ..

^(١) كما قال عن ذا عمود سامي البارودي:

لسولا أباي الطيب المأثور منطقته ما سار في الدهر يوماً ذكر "كافور"

^(٢) قال ابن رشيق - العمدة ص ٤٥، ج ١:

(.. وقد خطب أبو الطيب هذه الرتبة - أي الولاية - من كافور الإخشيدي، فوعده
بها*) - أجابه إليها - ثم خافه لما رأى من تحامله.. وكبره، واقتضاه أبو الطيب
مراراً، ومن اقتضائه.. قوله:

وهبت على مقدار كفيّ زماننا ونفسي على مقدار كفيّك تطلبُ
إذا لم تُنط بي ضيعة أو ولاية فجودك يكسوني، وشغلك يسلبُ
ثم صرّح بعد ذلك..:

وفي النفس حاجات وفيك فطانة مكوتي بيان عندها وخطاب..

- (*) وكان كافور قد وعده بولاية (صيدا).. كما جاء في: الصبح المنبي (١/١١٥) -

^(٣) قال أحد الفلاسفة: "إذا احتاج الرجل إلى كسرة خبز ولم يظفر بها، فإنه يُقدّم
تنازلات كثيرة..!".

حتى ليقول:

ولست أبالي بعد إدراكي العلى أكان تُرأى ما تناولت أم كسبا
-...

..... (لا بدّ دون الشهد من إبر التحل)

كما يقرر هو من قبل! -

فبدأ يستعطف "كافور" ويتزلف إليه...، وهذه أوّل ترجّ:

إذا كسب الناس المعالي بـ "الندى"^(١) فإنك تُعطي في ندادك المعالي
و.. يستحثّه.. بأدب:

وغير كثير أن يزورك راجلٌ
ويتقرب إليه^(٢) بالحب الشخصي:

أنت الحبيب، ولكني أعود به
.. ومن باب آخر:

ومثلك من كان الوسيط فؤاده
- مع تمنّ^(٤) ..
فكلّمه عني ولم أتكلّم

...

ألم يقل - شاعرنا - : "و.. الجوع يُرضي الأسود بالجيف!"

(١) أي: العطاء.

(٢) .. من معنى قول "الحطيئة" في (علقمة بن علاثة) - وهو يرثيه - وكان الشاعر أمّ
نحوه.. فوجهه قد مات -:

وما كان بيني لو لقيتك مالاً
وبين الغنى إلا ليل قلائل
(٣) .. قال البحري (زاجراً):

مالنا نعبّد العباد، إذا كـ
ان إلى الله فقرنا وغنانا
(٤) وقد قال فيه.. من قبل - واصفاً مقامه -:

عند الهمام أبي المسك الذي غرقت
في جوده مضرّ الحمراء واليمين
....

أودّ من الأيام ما لا تودّه وأشكو لنا بيننا وهي جُنْدَه -
.. ثم يطلقها صراحة:

وفي النفس حاجات وفيك فطانة سكوتي بيان عندها وخطاب
ولكن ذا "الكافور" أريحة، و"الذكاء" روحاً.. لم تنطلِ عليه مداهنة^(١)
الشاعر^(٢) ليبلّغه.. مأمّله.

- فبهذا .. ومثله سدت يا (كا فور)، واقتدت كل صعب القياد -
ولما أدرك الشاعر.. "ذا" وأيس منه، خلّص.. مع نفسه نجياً..،
- قال أحد الشعراء:

وعدتني وعداً وقربتّه تقريب من يثني بإنجاز
حتى إذا قلت انقضت حاجتي رميت بي من جرف مواز^(٣) -

...-

- أي: مَنْ عم جوده العرب كلهم -

^(١) ".. يُروى أن بشار بن برد مدح المهدي فلم يُعطه شيئاً، فقيل له: إنه لم يستعذب

شعرك يا أبا معاذ؟.. فقال بشار:

والله لقد قلت فيه قصيدة لو أثنى بها أحدٌ على الدهر، ما خشي صروفه، ولكننا كذبنا فيه
القول، فكذب أملنا فيه".

^(٢) .. وهو يدرك.. مراد الشاعر.. حين استفتح أوّل قصيدة أمامه بهذه الآلام المبتوتة من

ذات تتحرّق - و.. دون فطنة أن (لكل مقام مقال) كما يقول الخطيئة -:

كفا بك داء أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكن أمانيا

^(٣) أو كما.. قال "عبيد الأشجعي":

وعدت.. وكان الخلف منك مسجية مواعيد (عرقوب) أخاه ييثرب

فسكب على "المولى الإخشيدى" أقذع الهجاء: (١)

سادة كل الناس من نفوسهم وسادة المسلمين الأ عبد .. القزم (٢)
ثم رحل عنه.. خلصة بليلة ليس بها قمر (٣)، بعد أن تأسف على ما ضييع
عنده من ترج، وما أبلاه من تزلف.. لعل..!
لكن.. / إن الثناء على التبال.. (تبال) (٤) - .. كما يُقرّر! (٥) -

(١) وكأنه يردد في صده - قولاً.. لحافظ إبراهيم :-

رجوتك مرة وعبت أخرى فلا أجدى الرجاء ولا العتاب
لم يقل..

وشعر مدحت به (الكركد ن) بين القريض وبين الرقي
أي "يرقيه" - أو يسحره - .. ثم يقول في البيت التالي:

فما كان ذلك مدحاً له ولكنسه كان هجو الورى
أي: إذا كان هذا السيد - المولى.. الكركدن.. الـ.. الـ.. لديكم، فما يكون الرعية: إذا
ذلك المدح هو هجو لمن خلفه.. من علية القوم الذين حوله.

(٢) .. وما أجمل الاعتذار الذي مهده د. غازي القصبي للذائقة العارفة:

"كل ما نقوله عن كافور من ذم.. ينصرف إلى كافور المتنبى.. وإليه وحده!، أما كافور
الحقيقي.. فمكانه الحقيقي محفوظ في التاريخ الحقيقي". المجلة العربية، عدد ٢٦٢،
- وانظر ما يأتي ص ٨٨.. وما بعدها -

(٣) مشمراً عن عضديه:

لتعلم مصر.. ومن بالعراق ومن بالعواصم.. أني الفتى
لكن - الذي يظهر - أن كافور لم يجد في طلبه

(٤) ولماذا.. هذا الاعتراف.. المتأخر..، يا أبا محسد؟! - .. معنى (تبال): القصير -
-...

- قال ابن الرومي:

كل امرئ مدح امرءاً لنواله وأطال فيه..، فقد أساء هجاءه^(١) -

وأمّ للكوفة "أطلاله"^(٢) عائداً، وهو يردد - مع امرئ القيس -:

وقد طوّفت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب^(٣)

...

بل ولم يبق له.. - بعد أن خاب ما ترجّاه فيه أمله..، وانقطعت عن بلوغ المني.. سُبلة-

سوى الاستشهاد بقول ابن الرومي:

"مدحك طمعاً فيما أوامره فلم أنل غير حظّ الإثم والنصب

إن لم تكن صلة منكم لذي أدب فأجرة الخط أو كفارة الكذب"

وتجد تلميحاً جميلاً في العجز الثاني: الاعتراف بالكذب.. بمدحه!

^(٥) بل كان من الحق أن يستشهد.. بقول ابن هاني:

لست الملموم.. أنا الملموم لأنني أنزلت آمالي بغير الخالقي

^(١).. قال "العسكري":

مادحك بما ليس فيك.. إنما يستهزئ بك!!.

و.. قال عبد الملك بن مروان - لرجل ودّ أن يُسرّ له - : لا تمدحني.. فأنا أعلم بنفسني

منك.

^(٢) كما يقول أبو تمام:

و.. كم منزل يألفه الفتى وحينئذ الدائم لأول منزل

- ف:

بلادي.. وإن جارت عليّ عزيزة وأهلي.. وإن ضنوا عليّ كرام -

^(٣).. وهذا مما عبّر عنه سلفه (رهين المحبين) المعري بقوله:

جرّبت دهري، وأهليه.. فلم تترك لي العجارب في ودّ امرئ غرضاً

.. فراسله ابن العميد^(١) الملقب "بالجاحظ الثاني" وزير ركن الدولة..
فمدحه أبو الطيب:

بأبي وأمي ناطق في لفظه ثمنُ ثباع به القلوب وتُسوى
ثم ودّعه، بعدما أتاه كتاب "عضد الدولة" بفارس، يسأله المسير إليه..
ويدخل "شاعرنا" بلاد (فارس).. فيرى الحُسن وجمال الطبيعة يخلب
اللب!.. ليصف نفسه^(٢) - ابن الفيافي والقفار - بين أفياء هذه "المغاني":

.. ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان
ملاعب جنّة.. لوسار فيها سليمان^(٣) .. لسار بزجران
إذا غنى الحمام الورق فيها أجابته أغاني القيان
يقول بـ"شعب بوان" حصاني: أعن هذا.. يُسار إلى الطعان؟

(١) قال عنه الثعالبي في كتابه "يتيمة الدهر":

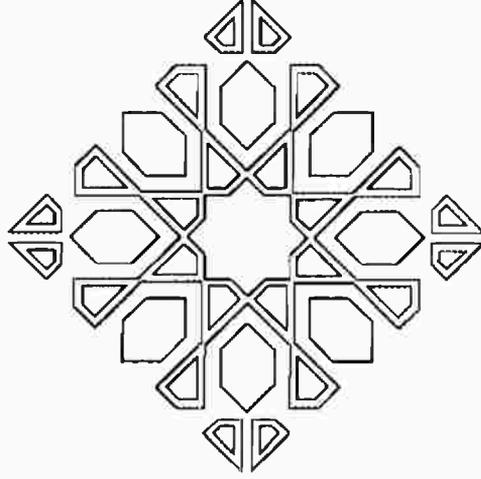
(كان يقال بدأت الكتابة بعبد الحميد، وانتهت بابن العميد).

(٢) .. من قصيدة يمدح بها عضد الدولة.. وولديه، مطلعها:

مغاني (الشَّعب) طيباً في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان
..وقد أثرى (العكبري) في شرح هذا البيت: مغاني: واحدها: مغني، وهو المكان الذي
فيه أهله، والربيع: الزمان الطيب، وهو الفصل الذي بعد فصل الشتاء، تخرج فيه
الأزهار، وتورق الأشجار، والمعنى: يقول: مغاني الشعب - وهو شعب بوان، وهو
موضع كثير الشجر والمياه، يعدّ من جنان الدنيا، كنهج بالابلة، وسفد سمرقند، وغوطة
دمشق - طيبة في المغاني. بمنزلة الربيع من الزمان، فهي تفوق سائر الأماكن طيباً، كما
يفوق الربيع سائر الأزمنة -

(٣) سليمان بن داوود - عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام - الذي علّم منطق الطير.

.. ثم يجيب على حصانه بالتفاتةٍ إلى عضد الدولة "أبي شجاع" مادحاً:
فقلت إذا رأيت أبا شجاع سلوت عن العباد.. وذا المكانِ
فإن الناس والدنيا طريق إلى من ماله في الناس ثان



" الخاتمة " ..

.. ويُختم لصاحب ال [٥٦٢٣] بيتاً - بما جناه على نفسه - :
وأنا الذي اجتلب النية طرفه .. فمن المطالب والقتيل القاتل
فبعد وداعه لعضد الدولة - معتذراً له بشوق العودة إلى أهله^(١) - ، خرج
من "شيراز" عائداً إلى الكوفة..^(٢) اعترضه "فاتك الأسدي" في جماعة
معه وقتله هو وابنه مُحسّد ومفلح غلامه..
- إذ كان المتنبّي هجا ابن أخت فاتك "ضبة"...^(٣) -:

^(١) تُرى هل حس الشاعر بقرب الرحيل.. وهو ينشئ لعضد الدولة هذا البيت:
أروح وقد ختمت على فؤادي بأن يحلّ به سواكا
^(٢) وذلك في مطلع شهر شعبان ٣٥٤هـ.
^(٣) وهو (ضبة بن يزيد العيني..)

والسبب/ جاء في ديوان المتنبّي هامش (١) ص ٢٠٤ - قيل:
اجتاز أبو الطيب بـ "ضبة" فامتنع عنه بحصن له، وكان يجاهر بشتمه وشتم من معه،
وأرادوا أن يُجيبوه بألفاظه القبيحة، وسألوا ذلك أبا الطيب، فتكلفه لهم.. على
كراهية منه... منها:

| | |
|-------------------|---------------------|
| إغما قلت.. ما قل | ت رحمة به.. لا محبة |
| ثم يلتفت للمهجو: | |
| يا قاتلاً كل ضيف | فناء صفيح وغلبة |
| وخوف كل رفيقي.. | أبائك الليل جتبه |
| ..وممن يُيالي بدم | إذا تعدّ ود كسبه |
| إن أوحشتك المعالي | فإنها دار غريبة |
| | |

(ما أنصف القوم ضَبَّية وأقمه الطرطبة)
وذلك في "دير العاقول" - النعمانية - في الشمال الغربي من سواد بغداد
قبل عيد الفطر ٣٥٤هـ.. لتُغلق^(١) صحاف ذا الذي:

كان من نفسه الكبيرة في جيب ش، ومن كبرياته.. في سلطان^(٢)
فكان المأمل.. (الحفرة) التي رمت بهذا الفارس إلى هاوية كانت ملاذ
النفس "المبتغى":

ومن يك قلباً قلبى له يشق إلى العز قلب التوى

...
أو أنسك المخازي فإنها لك نسبية
.. وإن جهلت مُرادى فإنه بك أشبه
.. وهكذا يتضح للقارئ أنها - كما قيل - من أردأ شعره.

^(١) قيل كثيراً عن سبب مقتله.. ، إلا أن هذه القصيدة هي المتكأ.. ، والله أعلم..

.. كم في المقابر من قبيل لسانه^(*) كانت تهاب لقاء الشجعان
.. و/

كم من حروف تجر الحيوف ومن ناطق ودّ لو أن مكّت ا
أيضاً:

كم حديث يظنُّ المرء نفعاً وبه - لو درى - يكون البلاء
- (*) احذر لسانك أيها الإنسان لا يلدغَنك.. فإنه ثعبان -

^(٢) لأبي القاسم/ المظفر علي الطبسي - يرثيه - وجاء منها:

لا رعى الله سرب هذا الزمان إذ دهانا في مثل ذاك اللسان
ما رأى الناس ثاني المتبي أي ثان يرى بكر الزمان
كان من نفسه الكبيرة في جيب ش، ومن كبرياته.. في سلطان

وكتب الجموح..، ليتوقف ذلك السيل الهادر - من جبل - .. وبين دفتيه
عزم دفعه إلى سلك الوعر من الطريق، حتى ليقول مستأسداً:

..... أمات الموت.. أم ذعر الذعر؟!
... رغم طوله - أي الطريق - ..بُعد مرماه، الذي للأسف /كان/ سراياً
يصله إلى سراب..

ولم يخطئ لأنه سلك طريق المجد -أو- "المطلوب"
بل أن تركيبته النفسية وحدة في الطبع^(١).. قد تكونا أعاقاه عن بلوغ
"المرام".

ولكن لا يجب أن تكون تلك "عيوب" لأن مقابل تلك العيوب.. ميزات
أوصلت بهذا الحكيم إلى أعلى المراتب.. - مقامه شعرياً -^(٢) وشيء يدرأ

(١) -..انظر ما يأتي ص ١٢١ ..وما بعدها -

(٢) مع التسليم بتقرير من سبق.. في نقد هذا "النسق" .. قال ابن سلام وأبو عبيدة:
" .. وما تشاء أن تطعن في شعر شاعر.. إلا وجدت مطعناً" -الأغاني ج ٢، ص ٤٦ -
.. وراجع ما أنكره العلماء من شعره -مثلاً - في كتاب (الوساطة) لـ أبي الحسن
الجرجاني، ص ٣٢٩-٣٦١.

.. وعلق أحدهم على هذا "البيت"

فهي ألف جزء من رأيه في زمانه أقبل جزئياً بعضه الرأي أجمع
أنه.. ركب من التقديم والتأخير والحذف والإبهام.. مالا يُباح مثله، في أساليب الكلام
.. واقراً - إن شئت - تعقيده:

لو لم تكن من ذا الوري الذي منك هو عقمتم ببولس نسلها... حواء
-....

شيء^(١) .. - ف:

..من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط -
بل وهذه - النهاية - هي شرك (الوهم) الذي داعب أحلامه:
تحتقر عندي همتي كل مطلب ويقصر في عيني المدى المتناول
ولهذا الذي خلفه تلك النفس الأبية التي بين جوانحه.. كانت دافعاً لهذا الطلب:
ومن يبيع ما أبغى من المجد والعلو تساوى المحايا عنده والمقاتل..
حتى أزر عن صدره..^(٢) وكأنه يلمس.. ويتحسس قرب الرحيل /ب/
.. بعد إدراكٍ متأخر.. أن:

-...-

(لا تعليق...!!)

إذ ليس فيما أنشأ "هنا" ما قصده أبو سعيد القرشي - في أرجوزته (فن الضرائر) -:
وربما تصادف الضرورة بعض لغات العرب المشهورة
بل حتى أنه لم يسلم.. من أقل من ذلك - راجع ما قيل في كلمة (مبسطر) -أي: ممتد-
وهو يرثي أم سيف الدولة، حيث غلّق على سوء اختياره هذا.. كثيراً.
وهذا يذكرنا بإنكار عبد الملك بن مروان على شاعره - ذا النظم اللين - (جرير) بلفظة
(بوزع).

ومع هذا يظل (عيب الكبير.. كبير) كما قال جمال الدين الأنغاني للسلطان العثماني -

^(١)..ف:

أقل ذا (الود) عثرته، وقفه على سنن الطريق المستقيم
ولا.. تسرع بمعبئة إليه فقد يهفو ونيتيه سليمه
^(٢) فلا جديد في إنشائه.. حين يقول عن "دهره":

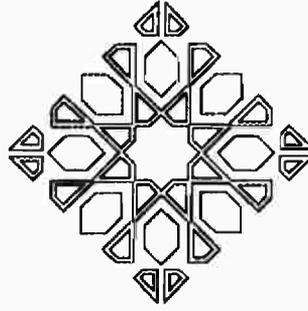
وهان .. فما أبالي بالرزايا .. لأنني ما انتفعت بأن أبالي؟

وقت يضيع، .. وعمر ليت مُدته في غير أمته من سالف الأمم!!
.. أتى الزمان بنوه في شببته فسرهم.. وأتيناها على الهرم^(١)
.. وذلك بعدما أفنى جلّ حياته خلف منى.. حال عن بلوغها - مع كبر
ذاته - ظروف عصره.. وقلّب حوادثه.

قال أبو الفتح بن جني - راثياً -:

غاض القريض وأودت نضرة الأدب وصوّحت بغدريّ دوحه الأدب
ولنستعير له من رثائه للتنوخي:

كفل الشاء^(٢).. له، بردّ حياته في رقّة لما انثنى .. فكأنه منشور



(١) .. وهذا - البيت - يحمل بعض نقض.. مما أنشأ شاعرنا - بعد -:

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا فعناهم من أمره .. ما عنانا
(٢) .. على شعره.